لا يُستخفُّ بكلامهِ ولا تعدُّ افكارهُ اضغاث احلام . لان اعلم الناس ببعض الحقائق اقربهم الى اصابة الحقائق الأُخر المتعلقة بها . فاذا كان الخل علماء الجيولوجيًّا يقول ما ذكرنا فليث شعري ما ذنب هذا العلم اذا قال غيرهُ خلاف ما يقول . أيلغى الذهب لان بعض الاغنيا فجلاه او تبطل الشريعة لان بعض القضاة منافقون

مغاص اللؤلؤ

من قلم المعلم خليل ابي سعد

اجمع المتقدّمون والمتأخّرون على اعتبار اللؤلؤ وتطلبهِ من اعماق البحار حيث عثروا لهُ على اثر فاكتشف الاسبانيون عدة مغاصات في اميركا اشهرها مغاص بناما الذي استخرج منهُ في سنة واحدة ما ينيف على ٦٥١٧٠ مثقالاً من اللؤلؤ ولكن تزاحم الاقدام على جانبيهِ ابطل شهرتهُ . واكتشف الانكليز والدانماركيون وحلافهم كثيرًا من العقود الدريّة في اماكن شتى كخليج العجم وجزيرة سيلان والبحر الاحمر وشطوط يابان وخليج مانار ومديورا (شرقي مالابار في افريقية) واما كن أُخر اعظمها واجودها مغاص خليج العجم فكانوا يستخرجون منهُ من المهو سنويًّا ما يساوي ٢٥٠٠٠٠ ليرة انكليزيّة . اما الآن فقد زال فخر هذا وسما فخر مغاص جزيرة سيلان فانهُ يحتوي على اربعة عشر محلاًّ مرصعة القعور بالصدف الدري ممتدة من الجزيرة الى الهند . وفي كل سنة يستخلص الغاصة الدر من اثنين منها ويتركون الباقي لتبلغ صغار اللآلىء حدها في النمو الذي يقتضي لهُ نحو سبع سنوات فلا يلتفتون الى مغاص قد استخرجوا لؤلؤهُ قبل ان تمضي عليهِ المدة المذكورة

فمتى حان ابّان الغوص في شهري شباط واذار ترى الغوّاصين يتقاطرون الى تلك الجزيرة من كل دانٍ وقاص حتى تزدان الشواطىء بالقوارب التي قد تبلغ مئة وخمسين قاربًا . فيعينون لكل قارب عشرين رجلاً النصف منهم ليجذفوا وينتشلوا الغاصة والنصف الآخر للغوص فيغوص خمسة منهم ويستريح خمسة على التعاقب . ويعلقون بكل قارب خمسة حجار وخمسة حبال بجانبها ولا بد لكل غوّاص من ثبيت قدمهِ اليمنى على احد هذه الحجار الخمسة ماسكًا الحبل المكّن بها باصابع رجلهِ وحبلاً آخر بيدهِ اليمنى وحينئذٍ يغطس بسرعة كانقضاض الشهب وحالما يصل الى القعر لا يتباطأ عن جمع ما يجدهُ امامهُ من الصدف واضعًا اياهُ في كيس شبكي يكون حول عنقهِ وحينما ينتهي من اقتلاع الاصداف اللاصقة امامهُ في الصخور او يتضايق من حصر النَفَس يجذب الحبل الذي لا تنفك يدهُ عنهُ فينتشلونهُ الى القارب ومن ثمَّ يرفعون الحجر وراءهُ فيفرّغ ما جمعهُ من الصدف في القارب ويثني الى غياصهِ على النمط السابق

اما المدة التي يقضيها كلُّ غواص تحت المياه فنادرًا تبلغ دقيقة واندر منهُ ان تبلغ دقيقتين وقيل ان بعض الغواصين يبقون من خمس الى خمس عشرة دقيقة . والغواصون جميعهم هنود ولكونهم قد تعودوا هذه الصناعة المخطرة منذ حداثتهم فيمكنهم ان يغطسوا الى اعمق قعر من اربعين الى خمسين مرة يوميًّا . ولما في ذلك من المشقة يصعدون احيانًا والدم يترف من افواههم ومناخرهم وآذانهم والبعض يفركون اجسامهم بزيت ويسدون آذانهم عندما ينزلون الى المياه لكن الاكثرين لا يستعملون واسطة البتة

ويمكن للغواص اذا اصاب بقعة كثيرة الصدف ان يجمع نحو مئة وخمسين صدفة واما اذا كانت قليلة ومتفرقة فلا يقدر ان يجمع اكثر من خمس منها . وربَّ قاربٍ يصطاد نحو ثلثين الفًا يوميًّا وآخر لا يصطاد ثلثمائة . وقد يصادفون عدوهم القتال (كلب البحر) الذي يرتعشون عند ذكرهِ ويرتجفون من منظرهِ الرهيب . فيلتجئون الى كهنتهم لكي يصلوا لاجلهم حينما يكونون في قلب المياه . وعلى هذا عينت الحكومة اثنين من الكهنة لهذا المقصد احدهما يجلس في قارب القيادة والآخر يتم فروضًا وصلاةً مخصوصة على الشاطئ . وعند المساء ينقلون الصدف من القوارب الى الشاطئ ويكومونهُ في حفرٍ رملية صغيرة حتى يجف فيسهل اقتلاع الدر منهُ حينئذٍ بلا ضرر . ومع ان الصدف مختلف الاجناس يوجد في جزيرة سيلان جميعهُ من جنس واحدٍ وعلى هيئةٍ واحدةٍ تكاد تكون اهليلجية ويبلغ محيط الواحدة منهُ نحو تسعة قراريط ونصفًا وجسم القراقة (الحيوان الذي داخل الصدفة) غالبًا ابيض وقد يكون احمر وجميعهُ غير طيب للاكل . اما اللآلئ فتوجد احيانًا في ذات جسم القراقة غير انهُ يغلب وجودها لاصقةً داخل الصدف ماخلا الاصداف المستديرة التي على شكلٍ غير معتاد فلآلئها غالبًا في داخل القراقة . والهنود يحكمون من هيئة الصدفة على كثرة لآلئها او قلتها فقد تحتوي الواحدة مئة وخمسين درةً واربع مئة ولا تحتوي شيئًا . والوان اللآلئ تختلف بحسب اختلاف الصدف وهي اما بيضاء وقد يكون البياض ناصعًا ذا رونقٍ جميل فيرتقي قيمتها واما حمراء واما برتقالية

اما تكوين اللآلئ داخل الاصداف فقد افضى بمشاهير العلماء المتقدمين والمتاخرين الى اعظم ارتباك حتى انهم اخذوا يفرضون لذلك مقدمات وهميَّة ويستنتجون منها نتائج فاسدة . فذهب بليني ومن ارتأى رايهُ الى انهُ مسبب من الندى . فهذا الراي المستحيل يوافق ما نُصَّ عن تكوين اللآلئ في احد الكتب البرهميَّة ويوافق زعم السيلانيين ايضًا . وذهب رُومَرْ الى انهُ ناجم عن مرض يعتري جسم القراقة فتفرز منهُ اذ ذاك مادَّة لزجة تتجمَّع وتركد بين الاغشية . ودليلهُ ان صدف البزاق والحلزون وما اشبه مركَّبة من مادَّة لزجة حجرية تنتج من جسم القراقة وان داخل الاصداف الاعتياديَّة التي على شطوط پروفنس يحتوي على قسمين احدهما ابيض والآخر احمر كما يرى في صدف اللآلئ الحقيقيَّة او في صدفة واحدة فانهُ قد يكون فيها نوعان من الدر ابيض واحمر وكل نوع لاصق بالقسم الذي يشبههُ لونًا من داخل الصدفة

وزد على هذا ان القسم الفضي او الابيض اللون مركبٌ من طبقات رقيقة الواحدة فوق الاخرى والقسم الاحمر مركبٌ من عروق صغيرة عمودية محكمة الوضع الواحد مقابل الآخر . والى الآن لم تتفق العلماء على رأي واحد غير ان المعوَّل عليهِ عند الاكثرين هو المذهب الاخير

اما قيمة اللؤلؤة فتتوقف على حجمها وشكلها وثقلها ونعومتها ورونق لونها . قال پليني ان اللآلئ اثمن جميع الجواهر الكريمة والمخزرها . وقيل ان سرڤيليا ام مرقس بروتس قدمت لؤلؤة لقيصر تساوي ٥٠٠٠٠ ليرة انكليزية وكليوپاترا اذابت جمانةً في الخل لتشربها على عشاء مع مرقص انطونيوس تساوي ٣٥٠٠٠٠ ليرة . لكن قيمتهُ قد انحطت كثيراً في عصرنا الحاضر لتغيير الازياء والعوائد ولكثرة اللآلئ المقلدة ونخص اثمانها

اما الاصداف التي تبقى بعد ما يجردونها من حليتها وزينتها الداخلية فيجمعونها بحسب كبرها وجودة لونها فالتي من الرتبة الاولى تباع غالبًا للاوروپيين وما بقي يرسلونهُ الى الصين فيصنعون منهُ خرزًا جميلاً ويرصعون بهِ الموائد الثمينة ونحوها . والاوروپيون يستخدمونها لعمل الازرار وعلب السعوط وانصبة السكاكين واللعب وما شاكلها

سياسة بقرة واحدة

لا يخفى ان الافرنج قد سبقونا في كل فروع الزراعة وتربية المواشي كما سبقونا في العلم والصناعة. وفيما نحن عازمون ان نقتطف شيئًا من القواعد التي وضعوها في تربية المواشي كما فعلنا في الزراعة عثرنا على رسائل نشرتها جريدة الزراعة الاميركانية في سياسة بقرة واحدة. وكانت قد عينت جوائز ذات طائل لافضل الرسائل التي ترد عليها في هذا الموضوع ثم طبعت الرسائل التي استحقت الجوائز فرأينا ان نقتطف منها ما يأتي

طرق الاعتناء بالبقر مختلفة ولكنها تعود كلها الى قواعد مقررة لا بدَّ من مراعاتها لكي تنتج منها افضل النتائج باقل الاتعاب. ومدار هذه القواعد ان تُطعَم البقرة وتُحلَب في اوقات معيَّنة لا تتغير وتنظَّف دائمًا وتُسقى قدر ما تشاء من الماء النقي وتربط حيث تستنشق الهواء النقي . اما علفها فيجب ان يقصد بهِ تقويتها وزيادة حليبها وتكثير زبدهِ ودسمهِ وافضله ما كان من العشب وجريش الحبوب كالكرسنة والباقياء والفول والبسلة ونحوها والنخالة والكسب والجذور والتبن والحشيش . ويقتضي ان يقسم مذودها الى اربعة اقسام قسم تربط فيهِ ويكون فيهِ معلفها وقسم لوضع العلف وقسم لتكويم الزبل وهو ستارة خارجية وقسم صغير لوضع نشارة الخشب او التراب الناعم من الحمأ